التعقيم

بين انصاره ومعارضيه

للدكتور شريف عسيران

﴿ تعريفه ﴾ العُقم لغةً عزمة تقع في الرحم فلا تقبل الولد[1] ورجل عقيم وعَقام وامرأة عقيم لا يولد لهما ولد . والتعقيم لغة اجراء العقم بوسائط صناعية . وكان الملوك والخلفاء يعقمون الرجال الذين يستخدمونهم في حرمهم بسلّ خُصاهم[2] فيزول منهم الميل الجنسي . ويقال لمثل هؤلاء خصيان جمع خصي وهو الذي سلت خصيتاه وكان الخصي مذلة . وقد عيّر المتنبي كافوراً بقوله

مرعلّم الاسود المخصي مكرمة آباؤه البيض أم اجداده الصيد

﴿ تاريخهُ ﴾ التعقيم طريقة ابتدعتها الأمم الراقية في عصرنا الحاضر لمنع نسل المصابين بعاهات وراثية كالمجانين والمختلين واليله وأضرابهم ممن يكونون عالة على أممهم ويحطون من جودتها

اول من ناوس عملية التعقيم بصورة غير شرعية (قانونية) الدكتور هري شارب Dr. Harry Sharp وهو طبيب اميركي من جفرسنفيل بولاية انديانا فقد شرع باجراء هذه العملية سنة ١٨٩٩ وكان القانون الاميركي لا يجيزها وكان يجريها برضاء الشخص فحصل على نتائج مرضية . وقد سنت هذه الولاية قانوناً سنة ١٩٠٧ حلل اجراء عملية التعقيم ثم تسمت في غيرها من الولايات المتحدة . وسنت ٢٧ ولاية منها قانوناً يجيز إجراء هذه العملية وحذت حذوها مقاطعتا البرتا وكولومبيا البريطانية بكندا والدانمارك وألمانيا ومقاطعة فود بسويسرا وولاية فيراكروز بالمكسيك ومدينة دانتزك الحرة[3] ويقدر عدد العمليات التي اجريت لتاريخ سنة ١٩٣٣ بنحو ١٦٠٠٠ عملية[4]

إن لفكرة التعقيم أنصاراً ومعارضين شأن كل فكرة جديدة وسنلخص آراء الفريقين بغاية الاختصار متحاشين التطويل الممل :

﴿ حجج المناصرين ﴾ يقول المناصرون أن معدل الفهم آخذ بالانحطاط عند الأمم المتمدنة فالواجب يقضي برفع مستوى الامم العقلي بتقليل نسل الفئة المنحطة والقضاء عليها تدريجيًّا .

---

(١) تاج العروس (٢) يقال هو افضل من خامي الخنثيين وهو مثل اصله ان جماعة من الخنثيين كانوا في المدينة في عهد سليمان بن عبد الملك الاموي فأراد ان يفيهم منها فكتب الى عامله فيها ابي بكر محمد بن حزم امعن من عندك من الخنثيين فاتق ان تقطع من انصار الاثر وعمت فوق اخذه فصارت خاء خصاهم (البستان)

(٣) Scientific American, July. 1934 p. 13 (٤) Applied Eugenics, p. 150

ويقدرون لسبة ناقصي العقول في انكلترا ممن لا يستطيعون الاعتماد على أنفسهم بواحد في الالف [١] ويقدر هذا الصنف بالولايات المتحدة بخمسة وعشرين مليوناً . وقد بلغ عدد ضعاف العقول والمصروعين سنة ١٩٢٩ في معاهد الولايات المتحدة ٦٤٢٥٣ نفساً والمترددين الى السجون سنة ١٩٣٠ مقدار ١١٦٣٠ شخصاً . وظهر من احصاء سنة ١٩٣٠ انهُ يوجد حوالي ٦٣٤٨٩ أعمى و ٥٧٠٨٤ أخرس . ويوجد ما يقرب من العشرة ملايين عاطل . ومن أقوال الرئيس فرانكلن روزفلت ان ما يقرب من نصف هذا العدد غير أهل للحياة الصناعية [٢]

وتلخص عقيدة الولايات المتحدة في الحجة الخالدة التي نطق بها القاضي هومز O.W. Holmes حيث قدمت امرأة ضعيفة العقل عريضة للمحكمة تطلب فيها تعقيمها وقد ولدت هذه الامرأة ولداً ضعيف العقل وكانت امها ايضاً ضعيفة العقل ولما رفعت العريضة الى محكمة الولايات المتحدة العليا قال القاضي الذي اصدر الحكم « يكفي ثلاثة اجيال من البله » [٣]

﴿ المانيا ﴾ سنت المانيا قانون التعقيم في ٢ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٣٤ ولا تختلف سوغاتها لهُ عن سوغات غيرها من الامم فانها تنفق في مدارسها على كل تلميذ صحيح العقل ٧٥ ماركاً بينما تنفق على الضعيف العقل اضعاف هذا المبلغ في السنة ويكلف المجنون الواحد الحكومة ودافع الضريبة ٦ — ٨ ماركات يومياً . ان الكتبة في المانيا لا يحصلون قدر ما تنفقه الامة على البله والمجانين والمجرمين وأضرابهم . وليس للطبقات المتفوقة في المانيا الآن اكثر من ولد أو ولدين ومن النادر جداً ان تجد عدة اولاد للاسر ذات الوراثة الصالحة [٤]

(٢) الحجة الثانية التي يستند اليها المناصرون اقتناع كثير من الامم المتمدنة بصدق هذه النظرية واجماعهم على سن القوانين الاجبارية لتنفيذها

(٣) سهولة اجراء العملية وخلوها من الخطر على حياة المرء وأمياله الجنسية والنفسية

(٤) الاستيثاق من ان الشخص الذي تجري عليه عملية التعقيم مصاب بأمراض وراثية تضر النسل بعد فحصه من قبل جماعة اخصائيين وبعد موافقة الشخص نفسه على اجراء العملية

(٥) اعتقادهم ان التعقيم يشجع المصابين على الزواج بعد تعقيمهم ولا ينتزع منهُ إذ لو لم يعقموا وكان لهم أولاد لعجزوا عن القيام بأودهم لان تحصيلهم دون الاصحاء عقلاً وهذا يثني عن الزواج وإخلاف النسل

﴿ المعارضون ﴾ ذكرنا اهم حجج المناصرين ونلخص الآن حجج المعارضين

(١) ليس من حق الحكومة سن قانون كهذا يرمز الى الاستبداد ويجعل الفرد للحكومة لا الحكومة للفرد فضلاً عن انهُ عمل مخالف للشريعة والآداب

(١) Scientific American vol. 150, p. 292 (٢) Eugenic Sterilization 2nd. Edition (٣) Scientific American, September 1934, p126. (٤) Applied Eugenics p 156

(٢) إنكارهم ان الطبقات العالية ارقى عقلاً من الطبقات المنحطة او خيراً منها بنفعها للمجتمع وان نسل الذكي يكون ذكيًّا والأبله أبله والمجنون مجنوناً وأن نسل الطبقات السفلى يزداد اكثر من ازدياد نسل العليا وليس من الضروري ان يكون نسل هذه الطبقة ضيقاً او ابله

(٣) ادعاؤهم ان العالم يحتاج الى الطبقة السفلى لتقوم بالاعمال التي لا تتطلب ذكاء . وان العلماء متفقون على الصفات التي تنتقل بالوراثة وأن المحيط عامل كالوراثة في نقل الصفات العاطلة وان الذين يقتنعون لا يعيشون سعداء

(٤) حجتهم ان التعقيم لا يحرر الامة من المجانين وضعاف العقول والمصابين بمختلف العاهات الوراثية لان الصحيح يحمل صفات معيبة قد ينقلها الى نسله وهذه الصفات تكون كامنة او مستورة

(٥) قولهم ان التعقيم يشجع على الزنا ونشر الامراض الزهرية وفساد الاخلاق ومن المعارضين الذين يشار اليهم بالبنان الاستاذ الشهير J. B. S. Haldane ولا بد من ذكر بعض آرائه لانهُ من ألمع الاقطاب في علوم الاحياء . ان هالدين لا يعتقد ان التعقيم يفيد من وجهة اصلاح النسل وتتلخص آراؤهُ في مايلي: (١) أن التعقيم يمنع ولادة الاسوياء وغير الاسوياء على حد سواء (٢) الامراض التي يعقم الناس لاجلها غير خطيرة ولا مقعدة للانسان عن العمل وانما هي مزعجة ويضرب مثلاً للعمى ملتن وللصمم بتهوفن . فان عمى الاول وصمم الثاني لم يحولا دون بروز عبقريتهما (٣) يقضي التعقيم على اكثر الامراض الوراثية ولكنهُ لا يقضي عليها كلها (٤) يموت عدد كبير من المصابين بامراض وراثية خطرة قبل ظهور علامات المرض فيهم وقبل سن البلوغ فلا داعي لتعقيمهم (٥) اذا اردنا القضاء على الامراض الوراثية فلا ينبغي ان نقتصر على تعقيم الاباء بل علينا ان نعقم الابناء أيضاً (٦) ان تعقيم المصابين بنزف الدم الوراثي (هيموفيليا) يعرض حياتهم للخطر (٧) هناك أمثلة كثيرة على الامراض الوراثية بالتعقيم فالتحولات الفجائية Mutations تولد مثلها (٨) من المعلوم في علم الوراثة ان الصفات الجيدة تغطي العاطلة (٩) ان كثيراً من العيوب الوراثية تكون بصورة كامنة (Recessive) فلا تظهر وتنتشر بالرغم عنا (١٠) أن المصابين بالضعف العقلي يستطيعون عملاً عملي ، فلا مسوغ لتعقيمهم (١١) لا يوجد في كل انكلترا اكثر من ستة اطباء وامرأة واحدة يعتمد عليهم في معرفة الامراض الوراثية الخطرة على النسل والتي توجب التعقيم (١)

واذا قابلنا حجج المؤيدين بحجج المعارضين رأينا تطرفاً في الفريق الثاني وميلاً الى العاطفة والمنطق الكلامي فأي عقل أو شرع يبيح انتشار المجانين والبله والمعروهين وأضرابهم. فما لا شك فيه أن كل امة ترغب في أن يكون نسلها صحيحاً قويًّا سالماً من العيوب وأن تتخلص من العاهات

(١) راجع : Heredity and Politics, J. B. S. Haldane 1939 p. 15,17
ايضاً: Scientific Progress, 936, p. 145

الوراثية . فأنصار التعقيم لا يقولون باجرائه جزافاً بل في العاهات التي يثبت انها وراثية فهم لا يقولون ان كل أنواع الجنون والصرع والبله وراثية بل يعترفون ان منها ما هو وراثي ومنها ما هو غير وراثي ويحصرون التعقيم في النوع الاخير بعد التثبت الدقيق بواسطة ثقات الاخصائيين المشهود لهم بالكفاءة العلمية ونزاهة الوجدان . فهم لا يزال العلم يجهل الكثير من حقائق الوراثة ولكنه أماط اللثام عن كثير منها واتفق العلماء على ان بعض نواميس الوراثة التي تسري على الحيوان تسري على الانسان أيضاً . واذا كان يحق للحكومة أن تسجن السارق وتعدم القاتل وتتصرف بمصلحة الفرد لما فيه خير المجموع، يحق لها ان تسعى لتقليل عدد المجانين والبله وضعاف العقول والمصروعين والمدمنين ومنع انتشار أمثالهم . ان انصار هذا المذهب لا يدعون ان التعقيم كفيل بازالة كل العاهات الوراثية بل يعترفون انهُ يقلل عددها فقط ويؤول تدريجيًّا الى تحسين النسل فهو خطوة صغيرة الى الامام . وقد اتخذت الامم التي سنت قوانين كهذه كافة الاحتياطات لتأمين مصلحة الفرد وهي تبت الدعايات الصالحة في هذا السبيل حتى ان كثيرين من المصابين صاروا يطلبون من تلقاء أنفسهم اجراء هذه العملية عليهم . ولم يثبت ان اجراءها يدفعهم الى اتيان الفاحشة بل ثبت عكس ذلك فان الفواحش اللاتي أجريت لهنَّ هذه العملية تحسنت أخلاقهنَّ وارتدعن عن اتيان المنكرات دخولهنَّ المؤسسات المعدة لهذه العمليات أسبغ عليهنَّ شيئاً من التربية والاخلاق . أما الخطر الذي يتوقعه المغالون من ضياع بعض النوابغ من جراء التعقيم فقد أجاب عليه بوبنو بالعبارة الآتية . لا تحرم الامة شكسبير او ارسطاطاليس من التعقيم الحديث لغاية اصلاح النسل بل بالعكس فان تقليل البله وضعاف العقول يفتح مجالاً أكبر لظهور المتفوقين ذكاء (١)

﴿ الوجهة الدينية ﴾ اما المانع الديني فقد اجابت عنه الحكومة الالمانية في بيانها السوغ لسن قانون التعقيم وقد جاء فيه ان غلمان المرتلين (Choir Boys) في كنيسة ستين Sistino Chapel كانوا يخصون في القرن التاسع عشر للاحتفاظ بنعومة اصواتهم (٢)

﴿ الامراض الموجبة للتعقيم ﴾ هي الجنون الوراثي، البله الوراثي، ضعف العقل، الصرع، العمى، الصمم، وغيرها من الامراض والعيوب الوراثية وقد بحثنا موضوعها بحثاً وافياً في مقالاتنا السابقة (٣) . ويشمل بعضهم الاجرام والادمان أي ادمان الكحول والمخدرات ولم يثبت حتى الآن ان الاجرام والادمان وراثيان ويعتقد عدد من الثقات أن المحيط عامل قوي فيها وأن المرء يرث في حالات كهذه مزاجاً خاصًّا يجعله ضعيف الارادة تتغلب عليه العوامل المحيطية وعلى كل ليس المجرمون والمدمنون قدوة حسنة ولا هم آباء صالحون

---

(١) Scientific American vol 151, p. 127 (٢) Applied Eugenics, p. 157

(٣) راجع المقتطف مارس ١٩٣٨ ص : ٣٣١٣ العلل الوراثية الجسية والعقلية

﴿ عملية التعقيم ﴾ تجري عملية التعقيم للذكر أو الانثى وهناك ثلاثة اسباب لاجرائها على الانثى (١) طبية (٢) اجتماعية (٣) لاصلاح النسل. والاخير هو بيت القصيد وطرق التعقيم متعددة (١) كيمائية (٢) اشعاعية (بواسطة الاشعة السينية) (٣) جراحية. وسنلم الماماً بكل من الطرق زيادة للفائدة وتتميماً للبحث

﴿ الطريقة الاحيائية الكيمائية ﴾ (Biochemical) تتوقف على اساس استعمال الاعمال التي تحقن في الجسم وتكون مادة مضادة لها فيحقنون سائل الذكر المنوي تحت جلد او في وريد أنثى فيتولد في جسمها مواد مضادة للحمل أو يحقنون الذكر بخلاصة المبيض فيصير الذكر عقيماً او الانثى بخلاصة خصية الذكر فتعقم . ورغماً عن إيمان بعض ثقات الاطباء بصحة هذه النظرية فلا قيمة عملية لها ولم تخرج من قيد النظريات والاختبارات

﴿ الاشعة ﴾ من المعروف ان أشعة اكس تؤثر في أعضاء التناسل وتسبب العقم لمن يشتغلون بها ولهذا يضعون حاجزاً كثيفاً يحول دون اختراقها أجسامهم فتعريض المبيضين والخصيتين لدرجة خاصة من أشعة وتتجين يسبب العقم ولهذه الطريقة محاذير لامجال لذكرها هنا وهي كالطريقة الاولى لا تزال نظرية ومحفوفة بالاخطار

﴿ الجراحة ﴾ هي بيت القصيد والمعول عليها في اجراء التعقيم وتجري على الذكر والانثى واجرائها على الاخيرة أما موقتاً او دائماً فالطريقة الوقتية تعمل بدفن قناتي فالوب في صفان البطن (البريتون) سنة او سنتين او اكثر بحسب المدة المطلوبة فلا تستطيع البويضات بلوغ الرحم وبعد مضي المدة تعمل عملية ثانية وتعاد القناتان الى حالتهما الطبيعية وتجري عملية التعقيم الدائم بطريقتين (١) سل المبيضين اللذين يقابلان الخصيتين في الذكر وهي عملية بربرية تسلب المرأة حاستها الجنسية وتفقدها شطراً كبيراً من حيويتها وتؤثر تأثيراً سيئاً في نفسيتها وعقليتها (٢) استئصال قناتي فالوب اللتين تدخل منهما البويضات وهي لا تسلب المرأة شيئاً من خصائصها النفسية[1]

﴿ الذكر ﴾ ان عملية التعقيم في الذكر اسهل من الانثى وتجري تحت البنج الموضعي ولا تستغرق اكثر من نصف ساعة بعد التدرب وطريقتها ربط القناة المنوية في الجانبين وقطعها فيسد طريق النطف المنوية ولا تستطيع الوصول الى الرحم وهي لا تفقد الرجل شيئاً من خصائصه النفسية والجنسية والمعول اليوم على هذه الطريقة نظراً لسهولتها وقصر الوقت الذي تستغرقه وخلوها من خطر استئصال المبيضين في الانثى فيتطلب فتح البطن وتعريض المرأة للخطر ولهذا يفضلون اجراء التعقيم على الرجل . هذه لمحة صغيرة عن التعقيم ذكرناها من وجهة اصلاح النسل ولم نشأ التطويل فيها لان المقتطف الاغر بسط جانباً منها في اعداده السابقة

(١) راجع Fertility & Sterility in Marriage, Van de Velde 1931, p. 366